المحاضرة الثامنة :

حروف العطف (الأنواع والدّلالات)

تمهيد : العطف من التّوابع الأربعة الأصيلة؛ وهي: (النّعت، التّوكيد، العطف، البدل)، ونقصد (بالتّابع الأصيل) اللفظ المتأخِّر دائماً، يتقيّد في نوع إعرابه بنوع إعراب المتبوع.

والعطف مصطلحٌ يُطلَق على اسمٍ يتبع ما قبله، ويشاركه في نوع الإعراب، وأصله من معنى الميْل؛ كأنّ التّابع أُمِيل به إلى حيّز المتبوع، والعطف نوعان : عطفُ بيانٍ، وعطفُ نسَقٍ.

1-**عطفُ البيان**: يعرفونه بأنّه اسمٌ جامدٌ يتبع اسماً سابقاً عليه، يُخالفه في لفظه ويُوافقه في معناه؛ للدّلالة على ذاته؛ ومن أمثلته : - نحبُّ الخليفةَ عُمرَ بنَ الخطاب.

- جامِعُ القرآن الكريمَ ذو النُّورَيْن عثمانُ بنُ عفّانِ.
- قرأتُ مدائحَ الشّاعرِ المتنبي للأميرِ سيفِ الدّولةِ.

فالاسم الجامد (عمر) عطف بيان من كلمة (الخليفة)، وكلمة (عثمان) عطف بيان من (ذو النّورين)، وكلمة (سيف) عطف بيان من (الأمير).

وعطف البيان يتبع متبوعه في الإعراب، وفي التذكير والتأنيث، وفي الإفراد والتثنية والجمع، أمّا من حيث (التّعريف والتّنكير) فيتّفق جمهور النّحويين على تبعيته في التّعريف، ويختلفون في أمر التّنكير؛ فقد ذهب البصريون إلى امتناع كون عطف البيان ومتبوعه نكرتين، **وأجاز** التّبعيّة في التنكير الكوفيون، والفارسي (ت377هـ)، والزمخشري (ت538هـ)، وابن مالك (672هـ)؛ ومن شواهدهم: قوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[النور: 35]، فـ(زيتونة) اسم جامدٌ وقع عطف بيان لـ(شجرة)؛ وكلاهما نكرة، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾[إبراهيم: 16]، ويَرُد البصريون عليهم بأنّ اللفظتين (زيتونة، صديد) في الآيتين من الوصف المؤوّل بمشتق؛ لأنّ عطف البيان لا يجري عندهم في النّكرات.

ويعترف النّحاة بأنّ عطف البيان يصحّ إعرابه بدلاً (بدل كلّ من كلّ)، لكنّهم يُقرّون أنّ هناك مواضع لا يصحّ أن يكون فيها بدلاً، والحقّ أنّها ليست مواضع مبنية على أساس الواقع اللغوي؛ وكلّها شواهد ضعيفة، وأمثلة مصطنعة؛ يقول **عبده الرّاجحي**: «من الأفضل طرح عطف البيان وتوحيده مع البدل»[1].

ومن هذا نذهب إلى أنّ كلّ ما صحّ أن يكون عطف بيانٍ جاز أن يُعرَب بدلاً مطابقاً (بدل كل من كل)، وليس من الجائز –في رأينا– إفرادُ باب بتمامه لشاهد شارد أو مثال مصطنع، والأولى إلحاق هذا الباب بالبدل، وقد جمع الشيخ **محمد عضيمة** (ت1984م) أربعين شاهداً من كتاب الله تعالى، وكلّها جاز فيها البيان والبدلية،

[1] - التطبيق النّحوي: 383.

ممّا يقطع أنّهما بابٌ واحدٌ[1].

2-**عطفُ النّسق** : وهو العطف بحرف من حروفه العطف المعروفة؛ ولعلّهم سمّوه (نسَقاً) لأنّه ينسّق الكلام بعضه على بعض؛ بحيث يأخذ (المعطوف) نسق (المعطوف عليه) في أحكام معينة؛ وكذلك للمساواة التي تحدث بينهما في الإعراب وغيره؛ وكأنّهم على نسق واحد.

ومن شواهد ذلك؛ قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[الرّحمن: 5، 6]، ومن خلا هذه الآية نحدّد : المعطوف (القمر) ، والمعطوف عليه (الشمس)

وحرف العطف (الواو) ، والحكم (رفع المعطوف اتّباعاً للمعطوف عليه).

وأحرف العطف هي : **الواو ، الفاء ، ثمّ ، حتّى ، أم ، أو ، بل ، لا ، لكنْ**

2-1-**معاني أحرف العطف وأحكامها** :

2-1-1- **الـواو** : تفيد مطلق المشاركة؛ أي أنّ (المعطوف) يشارك (المعطوف عليه) في الحكم دون النّظر إلى ترتيب زمني؛ كقولك: (حضرَ زيدٌ وعمروٌ)؛ فالعطف هنا يفيد اشتراك زيد وعمرو في الحضور، دون أن يدل ذلك على أنّ زيداً حضر قبل عمرو أو معه أو بعده، بفترة وجيزة أو وطويلة... ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[الجاثية: 24]؛ فالآية جاءت حكاية على لسان الكافرين؛ فلو أفادت الواو في معتقدهم الترتيب لكان معنى ذلك أنّهم يؤمنون بالبعث بعد الموت.

وتختصّ الواو بأنّها يُعطَف بها حيث يقتضي العطفُ المشاركة؛ فقولك: (تخاصَمَ عُمَرُ) كلام غير مفيد؛ إلاّ أنْ تعطف اسماً عليه؛ فتقول: (تخاصَمَ عُمَرُ وأحمدُ)، ومثله قول الشّاعر:

تَعاقَبَ اللّيلُ والنّهارُ والعُمْرُ وَلَّى وَلَا ادِّكارُ

2-1-2- **الفـــــــاء** : وتُفيد التّرتيب والتّعقيب؛ أي أنّ الحكم يكون (للمعطوف عليه) أوّلاً دون أن تكون هناك فترة طويلة (للمعطوف)؛ مثل: (حضرَ زيدٌ وعمروٌ)؛ فالفاء هنا أفادت حُضورَ (زيد) أوّلاً ثمّ حُضور (عَمرو) في عقبه؛ أي: بعده بفترة وجيزة؛ ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[الأعلى: 02]؛ فالتسوية تأتي بعد الخلق وعَقِبه مباشرة، ومثله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ، لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: 51-55].

وإفادتها للتّعقيب أمر نسبي؛ فيكون بحسب المقام؛ كقولنا: (تزوّج فلانٌ فرُزق بولد) فإن استطال الأمد بين الزّواج والولد لم يكن تعقيب، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا

[1] - ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 11/133-142، و11/63-67.

أَلْوَانُهَا﴾[الحج: 63].

2-1-3- **ثُـمَّ** : وتفيد التّرتيب والتّراخي؛ أي أنّ الحُكم يكون (للمعطوف عليه) أوّلاً، ثمّ يكون (للمعطوف) مع وُجود فترة غير وجيزة؛ مثل: (حضرَ زيدٌ ثمّ عليٌّ)؛ أفادت هنا حضور (زيد) أوّلاً، وحضور (عليّ) بعده بفترة؛ أي: مع شيء من التّراخي، ومن شواهدها قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 12-16].

ملاحظة: الأحرف الثلاثة السّابقة (الواو، الفاء، ثُمّ) قد لا تكون حروف عطف بالضرورة؛ بل تدلّ بكثرة على **الاستئناف**؛ فلابدّ من وُجود فكرة الاشتراك في الحكم حين تدلّ على العطف، وإلاّ فهي حروف استئناف.

2-1-4- **حتّى** : تأتي حرف عطف بمعنى (الواو) بشروط؛ هي:

-أن تعطف اسماً ظاهراً على اسمٍ ظاهرٍ ، أو على ضمير، مثل : (أكرمنا الضيوفَ حتّى أطفالَهم)، (أكرمناهم حتّى أطفالَهم)، فـ(حتى) لا تعطف الجمل.

-أو يكون الاسم المعطوف بعدها بعضاً من جمع؛ مثل: (قدِمَ الحجّاجُ حتّى المشاةُ) ، كما يكون جزءاً من كلّ؛ مثل: (أكلتُ السّمكةَ حتّى رأسَها).

-أن يكون الاسم المعطوف غايةً لما قبلها في زيادة أو نقص؛ فيُعطَف بها الأعلى على الأدنى؛ مثل: (مات النّاسُ حتّى الأنبياءُ)، كما يُعطف الأدنى على الأعلى؛ مثل: (غلبهُ النّاسُ حتّى الصبيةُ)، وقد اجتمع الأمرين في قول الشّاعر : قَهرْناكمُ حتّى الكُماةَ[1] فأنتمُ تَهابونَنا حتى بَنِينَا الأَصاغِرا.

فالعطف في الصدر من باب عطف الأعلى على الأدنى، والعكس في عجز البيت.

2-1-5- **أمْ** : وهي حرفُ عطفٍ يُفيد التّسوية بين شيئين؛ أو **تعيين** واحد منهما؛ والتي تُفيد **التسوية** هي التي ترد مع همزة التّسوية؛ وهي همزة لا تُفيد الاستفهام؛ بل تدخل على جملتين خبريتين معطوفتين بـ(أمْ)؛ ولابدّ أن يصحّ سبك مصدر من كلّ منهما؛ مثل قولك: (لن أهتم به سواءٌ أنجحَ أمْ رسبَ)؛ والمعنى: (لن أهتمَ به؛ فنجاحُه ورُسوبُه عندي سيان)، ومن شواهدها: قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ﴾[إبراهيم: 21]، والمعنى: يستوي عندنا الجزعُ والصبرُ.

أمّا (أمْ) التي تُفيد **التّعيين** فهي التي تأتي مع همزة الاستفهام؛ مثل: أحضرَ زيدٌ أمْ عمروٌ؟ ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[النّازعات: 27]؛ ففي الآية عُطف لفظ (السّماء) على الضّمير

[1] - كَمَى الشيءَ وتَكَمَّاه : سَتَرَه ، والكَمِيُّ : الشجاع المُتَكَمِّي في سِلاحه لأَنه كَمَى نفسه أَي ستَرها بالدِّرع، والجمع: الكُـماة.

(أنتم)، وهما مشتركان في الحكم، ومثله قول **زهير بن أبي سلمى** :

وَما أَدري وَسَوفَ إِخالُ أَدري أَقَـوْمٌ آلُ حِصنٍ أَمْ نِســاءُ

وقد تُحذف همزة الاستفهام قبلها لفظاً عند أمْن اللّبس؛ ومن ذلك قول **عمر بن أبي ربيعة**:

لعَمْرُكَ ما أدرى وإنْ كنتُ داريًا بِسبعٍ رَمَيْنَ الجمرَ أم بثمانِ

والتّقدير : أبسبعٍ.

ملاحظة : يُقسّم النّحاة (أم) إلى (متصلة) و(منقطعة)؛ والتي يسمونها (متصلة) هي همزتي التسوية والاستفهام؛ وهما ما تكلمنا عنهم سابقاً، ونقول عنهما (حرفا عطف)، أمّا (المنقطعة) فهي التي تأتي بمعنى (بلْ) التي تُفيد معنى الإضراب عمّا سبق، والانتقال إلى أمر جديد مستأنف؛ وهذا هو معنى الانقطاع؛ كما في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾[السجدة: 2-3].

ونلاحظ في (المنقطعة) ثلاثة أمور؛ وهي:

-أنّها لا تسبق بهمزة الاستفهام، ولا همزة تسوية.

-أنّها بعنى (بل).

-أنّها لا تدخل على المفردات.

ف(أم) المنقطعة، خارجة عن باب العطف؛ والأرجح أنّها حرف ابتداء.

6-1-2- **أوْ** : حرف عطفٍ يفيد **التّخيير**؛ والذي يعني اختيار واحدٍ من خيارين، وغالباً ما تقع بعد طلب؛ كقولنا: (رافقْ زيداً أو عليّاً)، وكقوله تعالى: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾[إبراهيم: 13]، وقد تفيد معانٍ أخرى؛ نفهمها من السياق؛ أهمّها :

-**الإباحة**: وهي الواقعة بعد الطّلب؛ والإباحة معناها اختيار واحد من المعطوف أو المعطوف عليه، ويجوز الجمع بينهما، مثل: (تعلّمْ الفقهَ أوِ النّحوَ)، ومثل قولك: (إذا أردتَ أن تُتقنَ الخطابةَ فاقرأْ الشّعر أو النّثر).

-**الشّك**: وذلك حين يكون المتكلّم جاهلاً للأمر؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [الكهف: 19].

-**التقسيم والتنويع**: مثل قول النّحاة: (الكلمة: اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ)، وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾[يونس: 12].

-**الإضراب**: وهي في ذلك مثل الحرف (بل)؛ والإضراب هنا يعني إبطال الحكم السابق وإثباته لما بعدها، ومن شواهد النّحاة على (أو) التي تُفيد الإضراب، قول الشّاعر **جرير** :

ماذا تَرى في عِيالٍ قَد بَرِمتُ بِهِم لَم تُحصَ عِدَّتُهُم إِلّا بِعَدّادِ

كَانُـوا ثَمَانَينَ أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً لَوْلاَ رَجَـاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أَوْلاَدِي

2-1-7- بـل : وتكون حرف عطفٍ حين يُعطفُ مفرداً على مفرد، وهي تُفيد شيئين:

-**الإضراب**: إذا كان ما قبلها كلاماً مُوجَباً ؛ كقولك: (حفظتُ القصيدةَ بلِ السّورةَ) ؛ والإضراب هو إلغاء الحكم السّابق ونقله إلى ما بعد (بل).

-**الإقرار ثمّ المخالفة**[1] : إذا كان ما قبلها منفياً[2]؛ مثل : (لم ينجح زيدٌ بل عمروٌ)، و(بل) حرف عطف يُفيد الإقرار بالحكم السّابق؛ (أي: بعدم نجاح زيد)، ثمّ مخالفة هذا الحكم لما بعدها؛ (أي: نجاح عمرو).

ومثله (النّهي) ؛ مثل قولنا: (لا تكرم اللّئيمَ بل الكريمَ).

2-1-8- لا : وهي تُفيد نفي الحكم على المعطوف، ولا تكون حرف عطف إلاّ بشروط؛ وهي:

-أن يكون المعطوف مفرداً.
-أن يكون الكلام قبلها غير منفي.
-ألاّ تقترن بحرف عطف.

مثل قولنا: (ينجحُ زيدٌ لا المهملُ).
فـ(لا): حرف عطف مبني على السّكون.

أمّا قولنا: (لم يحضرْ زيدٌ و لا عمرٌو)؛ فـ(الواو) حرف عطفٍ، و(لا) حرفٌ زائد لتأكيد النّفي.

ومثله قولهم: (جاءني زيدٌ لا بل عمرٌو) فقد اجتمع عاطفان؛ (لا، بل)؛ فتكون (لا) ردّاً لما قبلها (أي: حرف جواب)، وتكون (بل) هي العاطفة.

2-1-8- لكنْ : وهي تُفيد الاستدراك[3]، ولا تكون للعطف إلاّ بشروط؛ وهي:

-أن يكون المعطوف بها مفرداً.
-ألاّ تُسبَقَ بـ(واو).
-أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي.

مثل قولنا: (ما قرأتُ البحثَ لكنِ الملخّصَ).

وحين تقترن بـ(الواو) تكون (لكنْ) عند جمهور العلماء، غير عاطفة؛ بل هي حرفٌ يُفيد الاستدراك؛ أمّا العطف فقد وقع بـ(الواو) قبلها؛ مثل قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَ لَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[الأحزاب: 40]، ومن ذلك قول الشّاعر:

اِحْسِمِ الشَّرَّ فَلا تَسْتَأْصِلَنْ   ذَنَبَ الأفعَى وَ لَكِنْ رأسَها

[1] .- ويقال: العدول أو الاستدراك، و(بل) في مثل هذا بمعنى (لكن العاطفة).
[2] - نفي أو نهي.
[3] - والمقصود به : رفع أمر توهّمه السّامع من كلام سابق. ينظر كتاب: التعريفات للجرجاني: ص21.